



مختصر خطبة صلاة الجمعة 22 / 10 / 2022 للشيخ الطيب محمد خير الشعال، في جامع أنس بن مالك، دمشق - المالك

(هدي رسول الله ﷺ في التعامل مع كبار السن)

وجدت من هدي النبي ﷺ في التعامل مع كبار السن ثلاثة:

الهدي الأول: احترامهم وإكرامهم:

كان النبي ﷺ يدعو لإكرام المسنين واحترامهم فقد أخرج الإمام الترمذي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا أَكْرَمَ شَابٌّ شَيْخًا لِسِنِّهِ إِلَّا قَيَّضَ اللَّهُ لَهُ مَنْ يُكْرِمُهُ عِنْدَ سِنِّهِ».

وأخرج أبو داود عن أبي موسى الأشعري أن رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال «إِنَّ مِنْ إِجْلَالِ اللَّهِ إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ، وَحَامِلِ الْقُرْآنِ غَيْرِ الْغَالِي فِيهِ وَالْجَافِي عَنْهُ، وَإِكْرَامَ ذِي السُّلْطَانِ الْمُنْقَسِطِ».

ونفى النبي ﷺ عن قوم لا يوقرون الكبار ولا يجلونهم كمال الإسلام، فعن عبد الله بن عمرو: أن رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا وَيُوقِّرْ كَبِيرَنَا» [الترمذي].

ومن جملة إكرام الكبير واحترامه أن يبادر الشاب بالسلام على الكبير: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «يُسَلِّمُ الصَّغِيرُ عَلَى الْكَبِيرِ، وَالْمَارُّ عَلَى الْقَاعِدِ، وَالْقَلِيلُ عَلَى الْكَثِيرِ» [البخاري].

ومن جملة إكرام الكبير واحترامه أن يُقَدِّمَ في التشريف، فيُقدِّمُ الكبير في الشراب ونحوه. قال ﷺ: «ابْدُؤُوا بِالْكِبَرَاءِ - أَوْ قَالَ - بِالْأَكْبَرِ» [أبو يعلى].

الهدي الثاني: كفالة حاجاتهم:

جمع الإمام البيهقي في سننه في باب نفقة الأبوين مجموعة أحاديث عن النبي ﷺ تخبر بأن نفقة الوالدين الفقيرين على ولدهما الغني وأن السعي عليهما سعي في سبيل الله، روت السيدة عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «إِنْ أَطِيبَ مَا أَكَلَ الرَّجُلُ مِنْ كَسْبِهِ، وَإِنْ وَلَدَهُ مِنْ كَسْبِهِ».

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن أعرابياً أتى رسول الله ﷺ فقال: إِنْ أَبِي يَرِيدُ أَنْ يَجْتَاحَ مَالِي قَالَ: «أَنْتَ وَمَالُكَ لَوَالِدِكَ، إِنْ أَطِيبَ مَا أَكَلْتُمْ مِنْ كَسْبِكُمْ فَكُلُوهُ هَنِيئًا».

ومن هنا أجمع أهل العلم، على أن نفقة الوالدين الفقيرين اللذين لا كسب لهما ولا مال، واجبة في مال الولد.

الهدي الثالث: التخفيف عنهم والترخيص لذوي الأعدار منهم:

فالأحكام الشرعية في الإسلام تأخذ في الاعتبار مبدأ التخفيف عن صاحب الحرج، كالمسن.

نرى ذلك بوضوح في جل التشريعات الإسلامية.. فقد خفف الشرع عن المسن في الكفارات والفرائض والواجبات، فأجاز للمسن أن يفطر في نهار رمضان - ويطعم - إذا شق عليه الصيام، وأن يصلي جالساً إذا شق عليه القيام، وأن ينيب عنه في الحج إذا عجز عن أدائه.. أخرج البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (جاءت امرأة من خثعم عام حجة الوداع قالت: يا رسول الله إن فريضة الله على عباده في الحج أدركت أبي شيخاً كبيراً لا يستطيع أن يستوي على الرحلة فهل يقضي عنه أن أحج عنه؟ قال: نعم).

والحمد لله رب العالمين